الأحرف السبعة

ثبت أن رسول الله ﷺ قال : (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه).

وقد كان الصحابة – رضوان الله عليهم – يقرءون القرآن في عهد رسول الله ﷺ على أوجه مختلفة في بعض الآيات .

ومما يدل على ذلك ما رواه سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة (الفرقان) على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ، فكدت أساوره في الصلاة ، وتصبرت حتى سلم ، فلبَّبته بردائه ، وانطلقت به أقوده إلى رسول الله ، فقلت : يا رسول الله . إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها ، فقال رسول الله : أرسله . اقرأ ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله : (هكذا أنزلت) ، ثم قال لي : اقرأ . فقرأت ، فقال : (هكذا أنزلت) . ثم ذكر رسول الله ﷺ الحديث الذي مرَّ ذكره .

ولم يرد عن رسول الله ﷺ ، ولا عن أحد من الصحابة نصٌّ في معنى هذا الحديث ، يبين ما الأحرف السبع التي نزل عليها القرآن . ولذلك اختلف العلماء في المراد منها ، ولعل من أسباب اختلافهم هذا اختلافهم في معنى كلمة (حرف) .

فمن معانيه الطرف والوجه ، وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج : ١١] أي على وجه واحد ، وهو أن يعبده في السراء دون الضراء ، أو في الضراء دون السراء .

ومنها الكلمة المنظومة ، فإن العرب تسميها حرفاً ، والحرف يقع أيضاً على المقطوع من الحروف الهجائية ، ويطلق الحرف على المعنى .

وقد اختلف العلماء في فهم المراد من هذا الحديث النبوي على خمسة وثلاثين قولاً ، أشهرها ثلاثة :

١ – ذهب بعضهم إلى أن المراد التوسعة على القارئ ، ولم يقصد الحصر ، وذلك لأن عدد (سبعة) يستعمل كثيراً في اللغة العربية ، والمراد منه التكثير .

٢ – أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب ، وهذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة تميم .. وهكذا . وأكثره بلغة قريش .

وأنكر ابن قتيبة وجماعة من العلماء هذا الوجه ، وقالوا : لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش ، لقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم : ٤] .

وقال ابن حيان : قيل : أقرب الأقوال إلى الصحة أن المراد سبع لغات .

٣ – المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة ، نحو : أقبل ، وهلم ، وتعال ، وعجل ، وأسرع ، وانظر ، وأخر . ونحو ذلك .

قيل : وعلي هذا القول أكثر أهل العلم .

والسر في نزول القرآن على أحرف سبعة التيسير على من يقرءون القرآن من العرب ليقرأ كل عربي بلغته التي لا يستطيع أن يحيد عنها ، لأن طبعه ثبت على النطق بها ، وهذا بعض ما يفسر به قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ [القمر : ١٧] .

وأكثر العلماء على أن هذا التيسير كان في العهد الأول فقط استجابة للضرورة التي اقتضته ، وهو استحالة أن ينطق العربي بغير لغته ، فلما مرنت الألسنة على النطق بألفاظ القرآن اقتصر على حرف واحد ، ونسخ ما عداه ، والذي بقى هو الذي نقرأ عليه الآن . وقد كان هذا النسخ في العرضة الأخيرة ، فقد كان جبريل عليه السلام يعارض النبي القرآن مرة كل سنة ، فلما كانت السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ عارضه جبريل مرتين ، واقتصر على هذه القراءة التي تلقاها الناس .

ثم جاء سيدنا عثمان بن عفان فكتب المصاحف مقتصراً على هذا الحرف ، وكانت القراءات المتو اترة على هذا الحرف أيضاً ، وهذا هو رأى (الطبري) وتبعه فيه عدد من العلماء .

ويرى الزركشي أن (الأشبه بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات ، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم ، وما جرت عليه عادتهم من الإظهار

والإدغام والإمالة والتفخيم والإشمام ، والهمز والتليين والمد وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة ، ثم يقول : وهذه الوجوه هي القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة ، فإنها كلها صحت عن رسول الله ﷺ وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ، وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء ، فإن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءة ما هو أحسن عنده والأولى ، ولزم طريقه منها ورواها ، وقرأ بها ، واشتهرت عنه ، ونسبت إليه ، فقيل: قراءة نافع ، وقراءة ابن كثير ، ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ، ولا أنكره ، بل سوغه وحسنه ، وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختياران أو أكثر . وكل صحيح)[1] .

وقد بقيت آثار هذه اللغات في القراءات ، فمثلاً :

١- إذا أضيف الاسم المقصور إلى ياء المتكلم بقيت ألفة على حالها ، ما لم يكن قبلها ياء ، يقال : فتاي وعصاي . هذا هو الشائع عند القبائل العربية ، لكن (هذيلاً) وهي قبيلة سيدنا عبد الله بن مسعود - تقول : فتىَّ وعصىّ - بتشديد الياء فيهما - والشاهد على ذلك قول أبي ذُؤيب الهذلي في رثاء أولاده :

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم فتخُرِّموا ولكل جنب مصرع

يريد (هواي) .

وقد قرئ قوله تعالى : ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ [طه : ١٨] : (قالَ هيَ عصيِّ). وقرئ قوله تعالى : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ٣٨]: (فَمَن تَبِعَ هُدىّ) بتشديد الياء .

٢- الفعل أو الاسم المنتهي آخره بياء مكسور ما قبلها تشبع حركته ، وهي الكسرة في وصل الكلام ووقفه . تقول : يقضي القاضي . هذا هو المعروف في لغات قبائل العرب ، ما عدا هذيلاً فإنها تجتزيء بالكسرة عن الياء في الوصل . وعلى

١- البرهان في علوم القرآن ، ج١ ص ٢٢٧ .

ذلك جاء في قراءة سبعية : ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف : ٦٤] : ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل : ١١١] . ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝﴾ [الفجر : ٤-٥] ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد : ٩] . ﴿ٱلَّذِين جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر : ٩] .

٣- الفعل (حسب) بمعنى ظن من باب علم في لغة تميم ، وعلى وزن (ورث) عند الحجازيين ، وبعض القراء يقرأ مضارع هذا الفعل بفتح السين ، وهم ابن عامر ، وحمزة وعاصم . والباقون يقرأونه بكسر السين على لغة الحجازيين .

هذا . ولعلي ألقيت أضواء كثيرة على لغة قريش ، تلك اللغة التي شرفت بنزول القرآن في جملته بها .

****

obeikan.com